أخطاء الشعراء

في الشعر العربي

بقلم الاستاذ محمد حسين اسماعيل

ليس المقصود بالخطأ هنا ، أخطاء النحو والعروض ، لان تلك علوم يستطيع الشاعر دراستها ، والسير على نهجها وتجنب مواضع الخطأ والزلل فيها .

ولكن الاخطاء التي نقصدها ، ونريد التحدث عنها ، هي الاخطاء الذوقية ، وللخلاص منها يجب ان يكون للشاعر روح مرهف ، وذوق شعري ، وفكر نير ، حتى يبتعد عن عثرات اللسان ، واخطاء الفكرة ، ويميز الغث من السمين ويعرف مواضع الكلام واصوله .

واخطاء الذوق في الشعر اخلد وابقى من مثيلاتها في النثر ، لان الشعر يعتمد على الاوزان ، وترتبط ابياته بالقافية ، ولذلك فالاذهان أميل لسماعه ، واسرع في حفظه وانشط في روايته والاستشهاد به من النثر .

وقديماً حين كان للشعر سوق ورواج ، كانوا يحاسبون الشاعر على اخطائه الذوقية ، ويتتبعون عثراته ، ويثيبوه على قدر الاحسان والاجادة ، فقد تكون القصيدة الواحدة او البيت الواحد ، سبباً في إثراء الشاعر ، ورفعة العشيرة وخلود الممدوح ، كما قد تكون سبباً في الخمول والنسيان .

واخطاء الذوق التي نتحدث عنها ؛ اصابت اكثرية الشعراء الذين سجل التأريخ آثارهم الشعرية قديماً وحديثاً ، وقل ان تجد شاعراً سلم من عثرة اللسان .

فمن سقطات الذوق التي تورط فيها المتنبي قوله :

يترشفن من فمي قبلات هن فيه أحلى من التوحيد

فقد كبا الشاعر ، وركبه شيطانه ، فجاء بهذه المقارنة الباطلة بين طعم القبلة وطعم التوحيد ، وحاول بعض النقاد الاعتذار له فزعموا بأن التوحيد اسم معروف لنوع من انواع التمور ، ولو صدق هذا الزعم لكان المتنبي خاليا من الذوق حين يقارن طعم القبلة بطعم التمر !

ووقع خالد بن يزيد في نفس الخطأ حين قال يخاطب زوجه فان تسلمي اسلم وان تتنصري . يخط رجال بين اعينهم صلبا

فقد وضع الرجل دينه موضع المساومة والابتذال ، وجعل الحب فوق العقيدة والدين ، واضطر الى انكار القصيدة حين عاتبه الخليفة ، واعترف بأنه لم يقل ذلك وانما نسبوها اليه ظلماً .

وشبيه بهذين ما وقع فيه الشاعر الذي مدح الخليفة الفاطمي بقوله :

ماشئت لاماشاءت الاقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

فقد تورط الرجل واخطأ كسابقيه .

ولهذه اشباه ونظائر في الشعر المعاصر .

فثمة شاعر معاصر قال يمدح المتنبي بمناسبة ذكراه الالفية:

اذا افتخرت ام اللغات على اللغى وجاءت بقرآن تعرض ديوان

كلا احديها جاء فيها بمعجز فللشرع قرآن وللشعر قرآن

وفات الشاعر الاديب ان الاوجه المقارنة والتشبيه بين شاعر يجوز عليه الكذب والخطأ وبين كتاب سماوي مطهر ، جاء به نبي يتكلم بوحي من السماء .

وقريب من هذه الانواع ما وقع فيه شاعرنا النابغة محمد مهدي الجواهري فقد رثى المرحوم احمد شوقي بك بقصيدة مطلعها :

طوتى الموت رب القوافي الغرر واصبح شوقي رهين الحفر

ثم قال :

وجئنا نعزي به الحاضرين كأن لم يكن امس فيمن حضر

ولم ينتج السور الخالدات من الملحقات بأم السور

وام السور هي الفاتحة . وهذه كبوة من شاعرنا الخالد

ومن اخطاء الذوق قول نصيب يمدح البرامكة :

عند الملوك مضرة ومنافع وارى البرامك لاتضر وتنفع

فقد نفى امكانية الضرر عنهم وهذا نقص في طبيعة القادر ، وكان الواجب ان يقول بانهم يستطيعون الضرر ولكنهم يعفون عنه تكرما ، كما قال ابن المعتز في هذا المعنى :

وانا لنعطي الحق من غير حاكم علينا ولو شئنا لملنا مع الظلم

فقومه يستطيعون الميل مع الظلم ، ولكنهم لعلو نفوسهم

وكرم اخلاقهم يعطون الحق ، ويجتنبون استعمال القوة ، وذلك طبيعة القادر العادل .

ومن سقطات الذوق وعثرات اللسان ما فعله الشاعر الذي جاء للخليفة يزيد بن عبدالملك معزباً بفتاة ، وكانت عين الخليفة تسكب الماء لعلة فيها ، فبدأ الشاعر قصيدته بقوله :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب

وخيل للخليفة بأن الشاعر يعرض بعلته فطرده .

وشبيه بهذا ما وقع لشاعر معاصر رثى زعيما بقوله :

ما ضر لو كان افتداك بخائن ...

متمنياً ان يستبدل الموت به غيره ، ويظهر ان الشاعر قد نسي ، او غاب باله ، من ان الخائن ليست له اية قيمة ، وانه كسقط المتاع ، وتمنى ابدال من له قيمة بمن لا قيمة له من العبث .

واين هذا من قول السابق :

الموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

وشبيه بهذا قول العقاد راثياً المرحوم مصطفى عبدالرازق إذ يخاطبه بقوله :

يا آخذاً من كل شيء صفوه بورك من ذي معجزات خارق
حتى الخمول اخذت غاية حظه عجباً وانت من العلا في حالق

فان الخمول ليس من دواعي الفخر . واذا كان يقصد الخمول بمعنى الزهد والبعد عن الناس فقد استعمل كلمة لا تدل على هذا المعنى في الوقت الحاضر .

ومن شطحات الذوق في الشعر القديم قول جرير يتوعد قوما :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم الي قطينا

اذ قيل انه لم يزد على ان جعل من الخليفة شرطياً في طاعته .

ومثل ذلك قول الشاعر راثيا :

كأن بني نبهان يوم وفاته نجوم سماء خر من بينها البدر

مع ان المعروف هو ان النجوم تكون اكثر سطوعا واشراقا عند غياب القمر .

ومثل ذلك قول الشاعر :

الا فاسلمي يادارمي على البلى ولازال منهلا بجرعائك القطر

اذ قيل ان هذا بالدعاء عليها اشبه منه بالدعاء لها لان القطر اذا دامت افسدت . واين هذا من قول طرفة في معناه:

فسقى بلادك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي

ومن اخطاء الذوق قول جميل :

الا ليتني اعمى اصم تقودني بثينة لايخفى على كلامها

فقد اخطأ حتى في طلب الاماني والآمال .

واخطأ جميل مرة ثانية حين قال :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من انيابها بالقوادح

ولعل الشاعر كان يريد هذه الآلام لحبيبته رغبة منه في بقائها خالصة له ، ومادام الامر لايعدد الاماني فلم لا تكن من الاماني الطيبة ؟

ولعل هذه النبوات مقبولة اذا قيست بقول الشاعر العاشق .

اهيم بدعد ما حييت فان امت فوا أسفي من ذا يهيم بها بعدي

فلم يكفه همه ، بل عاد يبحث عن عاشق جديد يخلفه في موضعه عند موته .

ومن اخطاء الذوق في الشعر المعاصر قول الناصري :

انا هيكل شادته كف الله من ظمأ وجوع
لا الكوثر السلسال يرويه ولا فيض الدموع
لي رغبة حمقا ولي عقل بجانبها وديع

يتمثلان ـ لدى التشابه ـ بالخريف وبالربيع

واراد الشاعر ان يقول بان رغبته حمقاء جارفه ، وان عقله يسير مع اللطف والوداعة ، وشبهها بالربيع والخريف خطأ ، وكان الاحرى ان يقول بانها كالشتاء والربيع ، الاول بعواصفه وثورته والثاني بجماله وهدوئه .

ومن اخطاء الفكرة عند الشاعر عبد القادر الناصري قوله :

يابلادي انت ديني وصلاتي قبلتي سر حياتي ومماتي
منبعاه دجلة انت والفرات كل شيء راق في تلك الجهات

وقد خانه التوفيق ، اذ ان دجلة والفرات لا ينبعان من بلاده . وانما من بلد آخر .

هذه نماذج من اخطاء الذوق والفكرة في الشعر العربي ولها امثال كثيرة في الشعر المعاصر وربما عدنا لها في مقال آخر في المستقبل .

البصرة محمد عيسى اسماعيل